حوليات آداب عين شمس المجلد ٥٠ (عدد إبريل – يونيو ٢٠٢٢)
http://www.aafu.journals.ekb.eg
(دورية علمية محكمة)
جامعة عين شمس
كلية الآداب

نظريتا الحجاج والأفعال الكلامية بين الإرث البلاغي العربي واللسانيات الغربية المعاصرة

لقاء عادل حسين*

جامعة بغداد / كلية العلوم الإسلامية
leqaa.hamad@cois.uobaghdad.edu.iq

المستخلص:
كان لعلماء العرب مفاهيم خاصة حول الإعجاز القرآني وأهمية الحجاج فيه، وتوظيف الفن البلاغي لتقوية الحجة القرآنية، ومن ثم استخدام الفعل الكلامي في النص القرآني وبخاصة ذوات القص المعبر. حيث عرف العرب الحجاج والفعل اكلامي، لكنهم لم يوظفوه كنظرية يرتكز عليها البلاغي حال تحليله للنص، وهذا ليس فيما يخص هاتين النظريتين فقط، ولكن في كل ما استحدثه اللسانيون على اعتبار حداثته لكنه ذو أصول عربية أعيد إلينا بغلاف جديد ليظن الباحث أنه من النظريات الحديثة، لكنه في الأصل ذوق عربي غُلف بنظرية غربية كالأسلوبية، والتداولية، والبنيوية، إلى غير ذلك من مطصلحات ونظريات معاصرة. لذا رأيت أن أبين للباحثين ما استطعت ايجاده حول أكبر نظريتين دار حولهما اللسانيون الغربيون وهما: الحجاج والأفعال الكلامية، وقد قُسم البحث من بعد المقدمة إلى مطالب: دار الأول؛ حول مفهوم الحجاج لغة واصطلاحًا، والثاني؛ حول نظرية الحجاج بين الإرث البلاغي واللسانيات الغربية، والثالث؛ تناول مفهوم الأفعال الكلامية، والرابع؛ درست فيه نظرية الأفعال الكلامية بين الإرث البلاغي واللسانيات الغربية. وقد بينت مفهوم النظريتين عند علماءنا العرب، وعند اللسانيين، وكيف أرجعها البعض إلى أرسطو.

الكلمات المفتاحية: الحجاج، الأفعال الكلامية، الإرث، اللسانيات.

© جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة لحولية كلية الآداب - جامعة عين شمس ٢٠٢٢.

المقدمة:

الحجاج والأفعال الكلامية نظريتان حديثتان عرفهما العرب كنظريتين من اللسانيين الغربيين، ولكن الأصح أنهما نظريتان عربيتان لكن العرب لم تعرفهما كنظريات، وإنما كانت تحتج في كلامها وخطبها بالحجج والدلائل الواقعة، وأحيانًا كانت العرب تحتج بالأمثال العربية أو الوقائع السابقة، وعندما جاء الإسلام اتخذ العرب من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة حجج وبراهين على كلامهم، وهو ما يسمى بلاغيًا الاقتباس من القرآن والسنة، لكنه في الحقيقة حجة وبرهان لتوثيق كلامهم وتقويته، واستعملوا لخطبهم وكلامهم كل أدوات التأكيد والتقوية البلاغية والأدبية، وعرفوا كذلك الأفعال الكلامية ولكن بمصطلح آخر وهو الخبر والإنشاء ومن ثم علم المعاني، فكانوا أبلغ الناس في كلامهم، لاستخدامهم البلاغة عامة، والحجاج والفعل الكلامي خاصة وإن كانوا لم يسموهما بتسميات النظرية اللسانية.

لذا وجدت أنه من الواجب بيان الأصل العربي لهاتين النظريتين، وما وضعه العرب، ومن ثم ما أضافه اللسانيين الغربيين، وهذه الملاحظة لا تخص هاتين النظريتين فقط، فعند البحث العميق نجد أن أغلب النظريات اللسانية الغربية هي في الأصل بلاغة عربية أصيلة ولكن بمسميات أخرى وبإضافات غربية نوعا ما.

فالعرب عرفت الحجة والحجاج ليس فقط في الجاهلية والاسلام بل ظلت تستخدم ذلك خاصة بعد ظهور فرق مختلفة احتاج العلماء إلى الحجة والبرهان لدفع معتقداتهم وردها، وكذلك عرفوا الفعل الكلامي من خلال مباحث الخبر والانشاء، وإلقاء الكلام والعمل به.

المطلب الاول:- مفهوم الحجاج لغة واصطلاحاً

الحجاج لغة:-

الحُجة: البرهان. تقول حاجه فحجه، أي غلبه بالحجة، وفي المثل: (لج فحج). وهو رجل مِحجاج، أي:جَدِل.والتحاجُّ: التخاصم.(الجوهري،٢٠٠٩،ص٢٢٦مادة حجج)(Al-Gohary,2009,pg.226,argumentative article)) الحجة بالكسر أيضًا السنة والجمع الحجج بوزن العنب..... والمحجة بفتحتين جادة الطريق (الرازي،د.ت،٤٩ مادة حجج)(Al-Razi,D.T.,49 argument articles)، و(إحتَّج على خصمه بحُجة شهباء، وبحُجج شُهب. وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج، وكانت بينهما محاجَّةٌ ومُلاجَّةٌ. وسلك الحجة)(الزمخشري،١٩٢٢،١٥٤مادةحجج)(Al-Zamakhshari,1922,1/154argumentative material).

وقد استعمل القرآن الكريم (لفظ الحجاج في معناه الفني الذي انتهى اليه في اكثر من آية، نحو قوله تعالى:﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبۡرَٰهِـۧمَ فِي رَبِّهِۦٓ﴾البقرة ٢٥٨. وقوله: ﴿فَمَنۡ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ فَقُلۡ تَعَالَوۡاْ نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ ثُمَّ نَبۡتَهِلۡ فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ آل عمران ٦١، وقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ آل عمران ٦٦. والحقيقة ان القرآن خطاب حجاجيّ من الطّراز الأوّل)(عليوي، ٢٠١٠، ٢٥٣/٢)(Alawi, 2010, 2/253).

ومن يقرأ القرآن بتفحص يجد أن الحجاج موجود بوضوح وقوة (في كلّ القضايا التي يطرحها، وكأنه مبنيّ عليها من ألفه إلى يائه، يجده يستعمل الحج بشتّى انواعها، سواء كانت لغويّة أسلوبّية، او تأريخيّه أو واقعية، او فكريّة، أو برهانّيّة، أو غير ذلك، وقد التفت علماؤنا القدامى الى ذلك وأشاروا اليه في غير موضوع من دراساتهم وكتاباتهم)(عليوي، ٢٠١٠، ٢٥٣/٢)(Alawi, 2010, 2/253).

الحجاج اصطلاحاً:-

يعرف بأنه (بذل الجهد لغاية الإقناع، إنه طائفة من تقنيات الخطاب التي نقصد الى استمالة المتلقين إلى القضايا التي تعرفت عليهم أو إلى زيادة درجة تلك الاستمالة، وعلى هذا الاساس من الطبيعي ان يكون مجال الحجاج هو المحتمل والممكن والتقريبي والخلافي والمتوقع وغير المؤكد...، وأن يبنى غير التفاعل والاختلاف في الرأي، وأن يظل مفتوحاً أمام النقاش والتقويم... وان يحضر في كل أنماط الخطاب التي تنزع منزعاً تأثيرها لا يقين فيه ولا إلزام) (عليوي، ٢٠١٠،٤/١)(Alawi, 2010, 1/4).

وبداية الحجاج عند العرب القدماء كان مخالطًا للبلاغة والقرآن، فقال الجاحظ في تعريف البلاغة: (قال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحُجة، والمعرفة بمواضع الفرصة)(الجاحظ، د.ت، ٨٨/١) (Al-Jahiz, D.T., 1/88).

وقد عرف أبو هلال العسكري الحجاج في فصل سماه (في الاستشهاد والاحتجاج) بقوله: (وهذا الجنس كثير في كلام القدماء والمحدثين، وهو أحسن ما يُتعاطى من أجناس صنعة الشعر، ومجراه مجرى التذييل لتوليد المعنى، وهو أن تأتي بمعنى ثم تؤكده بمعنى آخر يجري مجرى الاستشهاد على الأول، والحجة على صحته)(العسكري، ١٩٥٢، ص ٤١٦)(Al-Askari, 1952, p. 416).

وميز (بعض الدارسين بين الخطابة والشعرية بمُصطلح "بلاغة الإقناع" أو "بلاغة الحجاج" أو مصطلح "بلاغة الصورة" أو "بلاغة الأسلوب"... مما يفيد أن الشعرية والخطابة تنتميان الى البلاغة)(بنو هاشم، ٢٠١٠، ص٧)(Bani Hashem, 2010, p. 7)، وقد جمع شايم بيرلمان (بين جدل أرسطو وخطابته لبلورة نظرية في الحجاج سمّاها خطابة جديدة وهذا الاتجاه هو المقصود بعبارة بلاغة الحجاج (Larhetorioue de Learguhentation) (بنو هاشم، ٢٠١٠، ص٨)(Bani Hashem, 2010, p.8).

فنلاحظ أن هذا العلم – بلاغة الحجاج – إذا كان يجمع (ملكة التخييل والحجاج يطرح اشكالاً في المصطلح عند الغربيين، فإن مصطلح " بلاغة "، بالمعنى الذي انتهى إليه في التراث البلاغي العربي وليس بالمفهوم المدرسي الساند حالياً في المجال العربي، لا يطرح أي اشكال بهذا الصدد، فالبلاغة في هذا التراث هي العلم الذي ينصب على الخطاب الشعري التخييلي والخطاب الحجاجي التداولي)(بنو هاشم،٢٠١٠،ص٩)(Bani Hashem, 2010, p.9).

ولكن المفهوم السائد عند العرب للبلاغة والحجاج مختلف فـ(تقوم كتب البلاغة العربية منذ السكاكي، وربما قبله على تعارض بين مفهومها للبلاغة وطريقة تناولها بالدرس لمختلف الوجوه البلاغية بياناً ومعاني وبديعاً، فبقدر ما يقترب مفهوم البلاغة فيها من مفهوم الحجاج خصوصاً فيما يتعلق بمراعاة قانون الأنفع في الخطاب، يبتعد الجانب التطبيقي فيها عن هذا المفهوم) (عليوي،١،٢٠١٠/٣٨)(Alawi,2010,1/38).

ومن هذا نجد أن الحجاج هو البلاغة أو آلة يستخدمها المتلقي للنص لتعزيز الفن البلاغي أو لتقوية بلاغة النص وتعزيزها، والحجاج وجد كمصطلح عند العرب منذ القدم وليس كنظرية، ثم ظهر عند اليونان في كتب أرسطو والخطابة اليونانية، ثم جُمع كنظرية عند اللسانيين.

ويرى البعض (أنّ الحجاج العربي أرسطيّ وإن صيغ صياغات حديثة، وهو بذلك يخالف الحجاج العربي الذي وجد فيه الباحث نفسه تعقيداً مرده طبيعة اللغة والثقافة العربية)(عليوي، ٢٠١٠، ١/ ١٣٧ نقلاً عن موقع٠٠٢٠٣٠ doc الصيد % ٢٠ أحمد maisonL Daclib 141 faculty.Ksu. edy.sa 141) ولم أجده على الشبكة العنكبوتية)(Aliwi, 2010, 1/ 137, quoting from the website 002030 doc al-Said 20% Ahmed maisonL Daclib 141 faculty. Ksu. edy.sa 141) and I did not find it on the Internet)، و(يعتبر شاييم بيرلمان الحجاج من ضمن البلاغة الجديدة)(كيوسي، ٢٠١٧، ص٢٥)(Kiosi, 2017, p. 25)، وقد كان (من أهم أفكار بيرلمان أنه يعتبر الإقناع الوظيفة الأساسية للبلاغة وليس التأثير)(حمداوي، د.ت،ص٢٨) (Hamdawi,D.T.,p.28)، وكذلك (من أفكاره الأخرى أن الصور البلاغية ليست صوراً فنية وجمالية وتزينية وظيفتها الإمتاع فقط كما هو السائد في البلاغة التقليدية، بل هي من طبيعة حجاجية وإقناعية بامتياز) (حمداوي، د.ت،ص٢٩)(Hamdawi,D.T.,p.29).

ومن اللسانيين الغربيين (يتصدر بيرلمان Shaim Perlman قائمة المؤسسين لبلاغة جديدة – أو كما لقبها بإمبراطورية البلاغة – لما لها صلة بالخطابة الأرسطية بوصله الحجاج بالخطابة، نافياً أن يكون مجرد استحضاره للاصطلاحات الأرسطية مبّرراً كافياً للحكم على توجّهه الحجاجي الإقناعي) (كيوسي، ٢٠١٧، ص٢٩)(Kiosi, 2017, p. 29)، ثم نجد كذلك (تمثل أعمال أوزوالد

ديكرد Oswald Ducrot وجون وكلود أنسكو مبر J. c. Anscombre نموذجاً للتداولية المدمجة، التي لا تفصل بين الدلالة والتداولية)(كيوسي، ٢٠١٧، ص٣٠)(Kiosi, 2017, p. 30)

المطلب الثاني:- نظرية الحجاج بين الارث البلاغي واللسانيات الغربية

إن الوظيفة الاساسية للبلاغة هي الافهام والاقناع والتأثير، وهذا ليس بالشيء الجديد الذي ذكره اللسانيين كبيرلمان وغيره لكنه الوظيفة الاساسية للبلاغة العربية، كما ذكر علماء العرب القدامى، ولو بحثنا في المراجع القديمة لوجدنا ذلك ماثلاً للعيان دون عناء، فالبتالي البلاغة اساساً هي نظرية حجاجية، فضلاً عن ان كل علم من علومها نظرية بحد ذاته، أو نشأ نتيجة نظرية وضعها عالم أو مجموعة علماء عبر عصور البلاغة التاريخية، أما ما يلهج به الغرب ما هو الا أخذ ورد، فقد اخذوا الاصل واضافوا له مستحدثاتهم من المصطلح والأسس النظرية ثم ردوه الى البلاغة العربية كنظريات وعلوم مستحدثة.

وهذا المفهوم – البلاغة الافهام والاقناع – كذلك الحجاج فـ(هو الاقناع والتداول والتواصل والتخاطب، ومن ثم، فالحجاج فعالية تداولية جدلية ديناميكية فعالة، تستلزم وجود أطراف تواصلية بينها قوائم حجاجية مشتركة) (حمداوي، د.ت،ص٢٨)(Hamdawi,D.T.,p.28).

وهذا يعني ان الحجاج نظرية حديثة بحسب رأي البعض ظهرت في أحضان اللسانيات والتداوليات الغربية لكنها أخذت المصطلح البلاغي القديم: قصد – مقام – افهام – اقناع، واخضعتها لمتطلبات البحث اللساني مرجحين براءة الاختراع له متناسين التراث البلاغي العربي، (وموقع البلاغة عامة والحجاج خاصة من هذين المنهجين يكمن في ان البلاغة، بقدر ما تعنى بالخطابة والالقاء وما يتطلبانه من أساليب حجاجية، تُعنى كذلك ببلاغة المكتوب – (نقداً وإبداعاً) – وما يتضمنه من حوار ونقاش ضمني مؤسَسين اولاً وقبل كل شيء على الفهم والتفسير من جهة والتعود الدلالي من جهة ثانية. لان هذا المكتوب لو نظرنا إليه نظرة متعمقة لوجدناه مؤسساً حتماً على خطة حجاجية Plan-argumentatif تهدف إما إلى الإمتاع بطرح معين، أو إلى جذب المتلقين الأكفاء لإثراء النص ومحاورته. فالنصوص عند التأويليين، فضلاً عن أنها غير محددة الدلالة، تظل أيضًا غير مستقلة عن ضرورات القراءة والإضافة، لأن تجدد النصوص واستمراريتها مرهونان بحسن التواصل مع الآخر)(الطلبة،٢٠٠٨،ص٦٢) (Al-Talaba,2008,p.62).

لكنني أرى أنها كمفهوم وأسس وقواعد عربية أصلية قديمة،ولكن كمسمى نظرية فهو غربي حديث، والحجاج مصطلح مستعمل كما لاحظنا عند العرب منذ زمن قبل ظهوره في لسانيات الغرب بالآلاف السنين، وظهر بشكل قوي جداً في القرآن، (ولكن للأسف الشديد أن اتجهت عناية البلاغيّين القدامى في دراساتهم للقرآن والشعر وجهة اخرى غير التي وجدناها عند اليونان في اهتمامهم بالحجاج الإقناعي، أو بما هو وسيلة إقناع. وما هذه الإشارات التي نجدها هنا وهناك متناثرة في كتب التفسير والبلاغة والأدب إلاّ شذرات اقتضتها ضرورة الفهم والإفهام التي أولع بها الدّارسون آنذاك، غافلين او متغافلين عن آليات الفهم والإفهام ووسائله لهذا انصبّ اهتمام البلاغيين على وجوه البيان بوصفها سرّاً من أسرار جمال الخطاب، لا بوصفها وسائل تأثير في المتلقي وإقناعه)(عليوي، ٢٠١٠، ٢/ ٢٥٤)(Alawi, 2010, 2/254)، وهذا يعني إن (بلاغة صور التعبير هي التي هيمنت آنذاك) (عليوي، ٢٠١٠، ٢/ ٢٥٤)(Alawi, 2010, 2/254).

وقد (التفت الجاحظ في غير موضع من كتبه الى الحجاج والمسائل الحاقة به) (عليوي،٢٠١٠،٢/٢٥٤)(Alawi, 2010, 2/254)، فـ(المتأمّل في مسرد تعريفات البلاغة التي أوردها الجاحظ في البيان والتبيين يقطع في غير شكّ أنّ البلاغة هي الحجاج، وذلك انّ كلّ حدّ من هذه الحدود التي عرض لها الجاحظ تتناول قضيّة من قضايا الحجاج الكبرى، وقد تتناول قضيّة من قضايا الحجاج الكبرى وآليّة من آليّات اشتغاله في الخطاب، فالفصل والوصل، وتصحيح الاقسام، والبصر بالحجّة، والتماس حسن الموقع، ومعرفة ساعات القول، إلى غير ذلك من القضايا، فهي إمّا أن تدخل مباشرة في مسائل الحجاج.....، إمّا أن تكون من المسائل الحاقة به. كما أن قراءة فاحصة للبيان والتبين تقضي في غير شكّ بأن الجاحظ قد اهتم باستراتيجيات الخطابة في أبعادها الثلاثة: الخطب، والخطبة والمخاطب) (عليوي،٢٠١٠،٢٥٥/٢٥٤)(Alawi, 2010, 2/254,255)

وليس الجاحظ فقط هو من اهتم بالحجاج فنحن نجد أن الرازي (يؤكد لدينا فكرة الحوار الجدلي الحجاجي مع الآخر الغائب،..... بين المحاور الحاضر والمحاجج المتخيل الذي تصاغ مقوماته وملكاته وردود أفعاله انطلاقاً من طبيعة الموضوع المطروق من جهة، وقدرات المحاجج من جهة أخرى) (الطلبة،٢٠٠٨،ص٦٩)(Al-Talaba,2008,p.69).

والمتتبع للتأريخ البلاغي يجد اقتران (البلاغة التاريخية بالخطاب التداولي الحجاجي تارة، وبالخطاب الأدبي التخييلي تارة أخرى، لكن الدارسين يرون أن اختزال البلاغة في الجانب الجمالي والأسلوبي هو تضييق للبلاغة، وانتهاك لنسقها النظري الذي طالما اقترن بالخطاب التداولي الحجاجي) (كيوسي،٢٠١٧،ص٢٦)(Kiosi,2017,p.26)، وهذا يعني انه (مهما تغّربت البلاغة في أحضان الأسلوبية، أو الشعرية، سيظلّ يشدّها الحنين الى موطنها الأصلي، الذي انبثقت منه موطن الإقناع، والحجاج) (كيوسي،٢٠١٧،ص٢٧)(Kiosi, 2017, p.27).

فضلاً عن (أن الاختلاف الجوهري بين بلاغة الحجاج التقليدية وبلاغة الحجاج الجديدة، أن الأولى ذات طبيعة إنتاجية، والثانية ذات وظيفة تأويلية، وبالرغم من هذا الاختلاف فصلة الثانية بالأولى لا تُنكر؛ إذ تمكّنت بلاغة الحجاج الجديدة ان تعيد بناء البلاغة التقليدية بشكل يضمن استمراريتها التي ارتبطت باستمرارية النص بنفسه من الناحية التاريخية، ناهيك عن أن البلاغتين تُعنيان بدراسة فعالية الخطاب وتأثيراته في متلقّية) (كيوسي، ٢٠١٧، ص٣١)(Kiosi, 2017, p. 31).

وأرتبط الحجاج أيضاً بأرسطو فالبلاغة عنده (خطاباً حجاجياً يقوم على وظيفتي التأثير والإقناع، ويتوجه الى الجمهور السامع قصد توجيهه أو إقناعه إيجاباً أو سلباً)(حمداوي،د.ت،ص٢٢)(Hamdawi,D.T.,p.22)، وله آراء في هذا المصطلح فـ (قد سبق عصره بآرائه البلاغية الرائدة في الحجاج والإقناع، ويعتبر أرسطو البلاغة فناً خطابياً بامتياز، إذ يستخدم أدوات حجاجية واستدلالية ومنطقية للتأثير في الآخر، وإقناعه ذهنياً ووجدانياً. ويبرز ذلك الحجاج عبر مجموعة من الوسائل الأدائية، فإما أن يتحقق عبر اللوغوس الذي يعني الكلام والحجج والأدلة، ويظهر ذلك جلياً في نسق الرسالة التواصلية، وإما يتحقق عبر الإيتوس الذي يتمثل في مجموعة من القيم الأخلاقية والفضائل العليا التي ينبغي أن يتحلى بها الخطيب أو البلاغي المرسل. وإما يتجسد في الباتوس الذي يتعلق بالمخاطب، ويكون في شكل اهواء وانفعالات أو ما يسمى في الثقافة العربية بثنائية الترغيب والترهيب. وقد ميز أرسطو كذلك بين ثلاثة خطابات بلاغية:-

أولاً:- خطاب قضائي يهدف القضاة من ورائه إلى معرفة الحقيقة بغية تحقيق العدالة، والآتي، أنهم يستعملون زمن الماضي والقياس المنطقي.

وثانياً:- الخطاب الاستشاري الذي يتخذ طابعاً سياسياً، وهدفه تحقيق الخير للصالح العام، ويستخدم زمن الحاضر، ويستعين حجاجياً بالأمثلة.

وثالثاً:- الخطاب البرهاني القائم على مدح الآخر أو ذمه، والهدف منه تثبيت الجمال أو الدفاع عن فضيلة أو قيمة أخلاقية عليا ما. ويستعمل هذا الخطاب جميع الأزمنة بما فيها الحاضر والماضي والمستقبل وكذلك اسلوب المبالغة والتفخيم)(حمداوي، د.ت،ص٢٤،٢٣)(Hamdawi,D.T.,p.23,24).

والحجاج (عاد عند البلاغيين الجدد، يستعمل آليات وتقنيات بلاغية ومنطقية. أي: مجمل الاستراتيجيات التي يستعملها المتكلم من أجل إقناع مخاطبه، وفي هذا المجال لقد ارتبطت البلاغة الجديدة بالحجاج ارتباطًا وثيقًا، فاستعملت تقنيات البلاغة في عملية الإفهام والإقناع، وقد اهتم بها كل من بيرلمان (Pereiman) وتيتكا (Tyteka) في كتابهما (الوجيز في الحجاج. البلاغة الجديدة). وقد ركز بيرلمان كثيرًا على مبدأين رئيسين، وهما: القصد والمقام. ويمكن الاستفادة من هذا التصور الحجاجي التقليدي) (حمداوي، د.ت،ص٢٥،٢٤)(Hamdawi,D.T.,p.24,25).

وذكرت مصادر أخرى أن الكتاب كان بعنوان ("مصنف في الحجاج ـ البلاغة الجديدة". وقولهما جديدة يقتضي وجود بلاغة قديمة وهذه البلاغة القديمة هي بلاغة أرسطو (أو خطابة أرسطو) من ناحية والبلاغة الأوربية السائدة في القرن التاسع عشر وما قبله من ناحية أخرى) (صولة،٢٠١١،ص٧١)(Soula,2011,p.71).

ولكننا نجد أن (الفكر العربي الإسلامي عرف في فترات مختلفة فنونًا من الجدل والمناظرة والخلاف في شتى العلوم والمعارف وصلنا عدد كبير منها. بل إن علمًا قائم الذات نشأ من الخلاف حول أصول الاعتقاد وكان مما يطلب من المنتمين إليه أن تكون لهم قدرة على المخاطبة والمقارعة والظهور على الخصوم بالحجة لبيان فساد رأيهم وتهافت معتقدهم، وهو علم الكلام الذي رأى فيه

أنصاره أحكم أداة للذب عن العقيدة)(صمود، د.ت، ص٢٤) (Samoud, D. T., p. 24)، فضلاً عن (إن القرآن جاء حجة الحجج ومعتمد كل حكم وأصل كل قضية ومرجعها بمنطوق نصه وظاهر حكمه إلا ما أشكل وأحوج إلى التأويل، فأقر الحجة من خارج النص لا من النص وأقام نصًا حجة على نص، سبيل ذلك النقل والرواية. فالمحتج لقضية أو عليها،.....، يكفيه النص مؤونة حمل القول على بناء الأدلة واستنباط الحجة. وحتى تثبت في أذهان الناس ذواتهم وتدفعهم إلى التسليم والإقرار. وكانت تلك الحجة أنه من دائرة المعجز المنقطع، لا من دائرة الممكن الموصول. وإنه بذلك تنزيل من عزيز حكيم فقامت الحجة من شكل النص وبنائه لسّد الحاجة إلى حجة العقل. وعقدت الأواصر بين هذه الثقافة ومنطق النقل)(صمود،د.ت،ص٢٦)(Samoud,D.T.,p.26).

وقد اختلف مفهوم الحجاج حتى بين اللسانيين أنفسهم فـ(إن عُدّ حجاج بيرلمان من الحجاج العادي Argumentation ordinaire وحجاج ديكرو حجاجاً تقنياً Argumentation technique فعند برلمان يتحدد الملفوظ الحجاجي بقدرته على توجيه الاذهان الى الإذعان، امّا عند يكرو فإنّه لما كان كلّ كلام حجاجيّا بطبعه فإنّ الكلام وظيفته الجوهريّة أن يوجّه لا أن يدلّ، وأهمّ ما يجمع بين بلاغة بيرلمان وتيتيكاه من ناحية وبلاغة ديكرو وأسكمبر من ناحية أخرى خضوع البلاغتين لقانون واحد هو قانون الأنفع أو الأجدى، ولأشكال واحدة أو طريقة واحدة في الهيكلية الحجاجية بالوصل Procede de Liaison والهيكلية الحجاجيّة بالفصل الحجاجي Srocede de dissociation) (صولة،٢٠١١،ص٧٨)(Soula,2011,p.78).

و نجد كذلك أن مفهوم الحجاج في التاريخ الغربي تأسس على ثلاث أشياء فـ("المواضع" و"التبكيتات السّفسطائيّة" و"الخطابة" ثلاثية تناول فيها أرسطو "مسألية الحجاج" فهي كتب تجمع بينها مسألية واحدة وتشترك في "العمود" من تلك المسألية غير أنّ شرّاح أرسطو في الغرب منذ القرون الأولى اتفقوا في انتساب الكتابين الأولين إلى "الأرغانون" واختلفوا في أمر "الخطابة" و"فن الشعر" فقد اعتبر الجمهور منهم إلى حدود القرن الخامس أجزاء الكتاب ستة وصدروه بداية من القرن الثالث بـ "إيساغوجي" (Isagoge) "لفرفيريوس" (Porphyre) وهو كتاب في التمهيد لمنطق أرسطو نشره صاحبه في حدود سنة ٢٧٠ تقريبًا) (صمود،د.ت،ص٩٢،٩٣)(Samoud,D.T.,p.92,93)

ونظرية الحجاج لها ارتباط وثيق بنظرية الافعال الكلامية فـ(الحجاج في ارتباطه بالمتلقي يؤدي الى حصول عمل ما أو الإعداد له، ومن ثمّ سيكون فحصُ الخطابات الحجاجية المختلفة بحثاً في صميم الأفعال الكلامية وأغراض السياقية، وعلاقة الترابط بين الاقوال والتي تنتمي الى البنية اللغوية الحجاجية، وسيكون مؤطرًا بالخاصية اللسانية الشكل وليس بالمحتوى الخبري للقول الذي يربط القول بالمقام، ولما كان الأمر كذلك فإن تركيز التداولية ينصب على العلاقات الترابطية بين أرض الخطاب والأدوات اللسانية المحققة له)(عليوي، ٢٠١٠، ١٣٧/٢)(Alawi, 2010, 2/137)، فهذا يعني أن المصطلحات التي جاء بها الغرب واعتمدت كنظريات وقواعد كلها تدور في دائرة واحدة.

فضلاً عن أن الحجاج (عملية تفاعلية تقوم على مجموعة من العناصر هي: الرسل والرسالة والسامع، ويعد الغير السامع أهم من المتكلم الخطيب، لأن الهدف من الرسالة التواصلية هو إقناع الأخر ومحاججته برهانياً وعقلانياً عبر مجموعة من المسارات الحجاجية للوصول إلى الحقيقية والحل الراجح، واستكشاف ردود فعل المخاطب تجاه الحجاج، فليس المهم – هنا – هو الخطيب أو المرسل كما في البلاغة التقليدية، بل هو المستمع او المخاطب)(حمداوي، د.ت،ص٢٩)(Hamdawi,D.T.,p.29).

وللحجاج دور يتصل (بالأطراف السابقة للاقتضاء:(القول– المقول– المقتضى) لكونه يوجد دائماً عندما يتعلق الأمر بحل أو افتراض، او استعطاف، أو مبالغة، أو شرط، او تخصيص.. أو اي غَرض مقولي يتعين في الجملة بإشكال ما. وهو إطار تتم فيه المحاورة ويعبر عن اختيار خاص للمتكلم في استعماله انسجام مع مقتضيات الخطاب المفهوم من خلال العناصر الثلاثة، أو من خلال عنصري المنطوق والمقتضى)(عليوي،٢،٢٠١٠/١٤٣)(Alawi,2010,2/143)، كما (أنّ الاساليب البلاغية قد يتم حجزها عن سياقها البلاغي لتؤدي وظيفة لا جمالية إنشائية (كما هو مطلوب في سياق البلاغة) بل هي تؤدي وظيفة اقناعية استدلالية (كما هو مطلوب في الحجاج).ومن هنا يتبين أن معظم الاساليب البلاغية تتوافر على خاصية التحول لأداء اغراض تواصلية ولإنجاز مقاصد حجاجية ولإفادة أبعاد تداولية) (عليوي،٢،٢٠١٠/١٣٩)(Alawi, 2010, 2/139).

وللحجاج سلم لكنه لا ينتج (في طبقات متراصة في الخطاب الواحد، بل قد تكون هذه الطبقات مخزونة في ذهن المُخاطِب وفي ذهن المُخاطب، وفقاً لتماثلهما في القدرة اللغوية، وبالتالي الى حد ما في الكفاءة التداولية التي يعتمد عليها كل منهما في التخاطب، وعليه يعمد المخاطب الى الحجاج بالتلفظ بإحدى هذه القوى أي الدرجات الحجاجية التي تعبر عن قضية واحدة، إذ يمكن صياغة خطاب الحجاج سلمياً بأكثر من شكل، فإذا كانت القضية التي يريد المخاطِب أن يقنع المخاطب بها هي:

– الحث على استعمال السواك، فإنه قد يعمد الى انتاج أكثر من خطاب، حسب السياق، وكل خطاب ينتمي إلى درجة من السلم الحجاجي، مثل: صياغته حسب الشكل الخبري، في الخطاب: – السواك مرضاة للرب مطهرة للفم.

أو بالاستفهام المتبوع بالفاء السببية، مثل: – أليس السواك مرضاة للرب مطهرة للفم ؟ فنستعمله.

أو بالشرط المتبوع بفاء الجزاء. – ما دام السواك مرضاة للرب ومطهرة للفم فلنستعملهُ.– أو: بما ان... إذن. – بما ان السواك مرضاة للرب مطهرة للفم، إذن نستعمله)(عليوي،٢٠١٠،١١٢/٢)(Alawi,2010,2/112).

وقد جعل العلماء المحدثين آليات بلاغية للسلم الحجاجي قسموها الى:- تقسيم الكل إلى اجزاءه – الاستعارة - التمثيل – البديع(ينظر عليوي، ٢٠١٠، ٢/ ١٣٣ ــ ١٣٦) (See Aliwi, 2010, 2/ 133-136).

ومن امثلة الحجاج البلاغي مثلاً (كانت صفة الرسول ادعى للمها زمن اسم العلم محمد عند من كانوا يقولون ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾٣١، وقد كان القرآن نفسه حريصاً على تسمية الرسول بصفته هذه دون اسمه في قوله ﴿لَّا تَجْعَلُوا دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾، ان في استخدام القرآن للفظي الله والرسول دون ضمير المتكلم ومحمد حجاجاً يسمى الحجاج بالسبب، على النحو التالي:

- اطيعوا الله لكون الله يطاع
- اطيعوا الرسول لكون الرسول مطاع، واكثر مجيء الطاعة أو الأمر بها في القرآن مقروناً بلفظي "الله" و "الرسول" وقد تواتر ذلك عشرات المرات في القرآن) (عليوي،٢٠١٠،٤١/١)(Alawi,2010,1/41).
- أما البنى الحجاجية في البلاغة العربّية فتكمن في أمور:

١- الجدل

٢- القياس

٣- التمثيل

٤- التقسيم

٥- التكرير(ينظر عليوي، ٢٠١٠، ٢/ ٢٥٨ ــ ٢٧٣)(See Aliwi, 2010, 2/258-273)، و بالنسبة الى الوسائل الحجاجية في المقاربات اللسانية فقد (اتخذت هذه الوسائل منحى جديداً في الدراسات اللسانية الحديثة استطاع، من خلاله، اللسانيون أن يبلوروا مقاربات تبحث في كيفية تواصل الخطاب وتوجيه عملية الادراك والانتاج لدى المشاركين في عملية التلفظ) (عليوي،٢٠١٠،٢٧٤/٢)(Alawi,2010,2/274)، ومن اهم المقاربات اللسانية الغربية مقاربة ديكرو Dudrot، ومقاربة رولي Roulet، ومقاربة موشلر Moeschler، ومقاربة روساي Rossari(ينظر عليوي، ٢٠١٠، ٢/ ٢٧٤ ــ ٢٨٠)(See Aliwi, 2010, 2/274-280)

المبحث الثالث: مفهوم الأفعال الكلامية

نظرية الأفعال الكلامية أو الحدث الكلامي (ويطلق عليها أيضاً نظرية أفعال الكلام وهي ترجمة للعبارة الإنجليزية Speecd act Theoryأو العبارة الفرنسية desactes de parole latheorie ولهذه النظرية الانجازية ونظرية الفعل الكلامي وغيرها من الصيغ والعبارات جزء من اللسانيات التداولية Linguistic Pragmatics وقد مرت هذه النظرية بعدة مراحل لعل اهمها مرحلة التأسيس ويمثلها ج. ل. أوست J.L. Austin ومرحلة النضج والضبط المنهجي ويمثلها ج. ز. سيرل J.R.Searle)(جلولي، د.ت، ص٥٣)(Jalouli, D.T., p. 53).

وتسمى هذه النظرية عند العرب نظرية الخبر الانشاء و (لقد وافق المناطقة العرب من سبقهم على استبعاد المركبات التامة غير الجديدة عن دائرة تحليلهم الذي قصروه عن التركيب الخبري)(الطبطبائي، ١٩٩٤، ص٤٥)(Al-Tabtabai, 1994, p. 45)، فضلاً عن (ان العلماء العرب لم يغفلوا عن التمثيل للمكون الوظيفي التداولي في النظرية اللغوية العربية، فقد استبان، من غير وجه واحد، انهم عالجوا الجمال على مساق التخاطب، وتواصفوها من حيث هي أداة لا تتم للفائدة الإبلاغية دونها، ولا يتحقق بغيرها بيان)(صلاح الدين، ٢٠٠٩، ص٢٦)(Salah al-Din, 2009, p. 26).

ونظرية الأفعال الكلامية نظرية (تهتم بالأفعال (Acts) اللغوية التي تحدث عند المتكلم، والتي لها هدف اجتماعي وتأويلي وتأثير عملي)(وايلز، ٢٠١٤، ص٦٢٠)(Wiles, 2014, p. 620).

يلاحظ، بداءةً، أنَّ في التقابل بين الخبر والانشاء فعلاً ينبغي الاحتراز منه، لأنَّ مصطلح الخبر صفة للكلام توهم ناظرها أنهَّا مقطوعة النسب عن منشئها لمخبر، فلا تحيل على المتكلم إلاّ بطريق الاستدلال بينما يتّصل المصطلح الآخر به، ويرتكز على مفهوم الفعل الكلامي، فكان أولى أن ينهض التقابل، إذا كان صقا، يتخالفان، بين الإخبار والإنشاء من حيث إنَّ المعنيين عملان يصدران عن المتكلّم. فإذا صحَّ في الأذهان قيام الاختلاف بين الإخبار والإنشاء، صحَّ التعويل عليهما بأبين رئيسين تجتمع تحت عباءتيهما ضروب الكلام المنجزة الأخرى، وإلاّ فلا. فالوجه، إذن، أن يتساءل: هل الإخبار شيءٌ غيرُ الإنشاء أم هو هو ؟ التحقيق أنَّ الإخبار لا يعدو أن تكون عملاً يصدر عن المتكلّم، ويحصل من جهته. وهؤلاء يختلف، من هذه الناحية، عن مختلف ضروب الإنشاء كالاستفهام والتعجب والأمر ونحوهنَّ(صلاح الدين، ٢٠٠٩، ص١٥)(Salah al-Din, 2009, p. 15).

فضلاً عن (أنّ كلا من مبحث الخبر والإنشاء ونظرية الأفعال الكلامية يستند إلى العلاقات الخارجيّة، بالخبر مثلاً ما كان محكوماً بثنائية الصدق والكذب بالاعتماد على النظر إلى مدى مطابقته للخارج أو مخالفته)(احمد، ٢٠١٠ /٢٠١١، ص٢٥٧)(Ahmed, 2010/2011, p. 257)، وينبغي الإشارة إلى (أن هذا الطرح المتعلق بتقسيم الخبر والإشارة عند البلاغيين العرب، لا يختلف عن الفكرة التّي استند إليها أوستين في مجال نظرية أفعال الكلام)(احمد، ٢٠١٠ /٢٠١١، ص٢٥٧)(Ahmed, 2010/2011, p. 257).

وقد وضع العرب معايير للخبر والانشاء (أهمها النسب الخارجية ومبدأ القصدّية الذي شكّل محور نظرية افعال الكلام عند كلّ من اوستن وسيرل على اساس أن الفعل الكلامي وبُعد قصدي كما نجاحهُ محكوم بمعطيات وشروط خارجية في النسق التركيبي) (احمد،٢٠١٠/٢٠١١،ص٢٥٨،٢٥٩)(Ahmed,2010/2011,p.258,259).

وقد (عكف البلاغيون العرب على تفصيل الاغراض البلاغية التي تخرج اليها الاساليب الخبرية والانشائية، فقد يخرج الخبر إلى الإنشاء وأغراض أخرى تستشّف من قصود المتكلم واحوال السياق)

(احمد،٢٠١٠/٢٠١١،ص٢٥٩)(Ahmed,2010/2011,p.259)، وعلى ذلك يمكن القول (أن للبلاغة والتداولية دور تماثلي من حيث الهدف والوسيلة، فكلاهما يقوم على إعداد ترتيبات (فنية – (فنية/اجرائية)، واستراتيجيات معينة من اجل التأثير في المتلقين وكل ذلك عن طريق اللغة وتأخذ كل هذه الترتيبات منحا تلاؤمياً مع المقام الذي يحاصر تلكم العملية التواصلية من حدودها وروافدها) (احمد،٢٠١٠/٢٠١١،ص٢٤٥)(Ahmed,2010/2011,p.245).

(كما أن البلاغة في حد ذاتها، وما يتعلق بانقساماتها الثلاثة والمتمثلة في علم المعاني والبيان والبديع تنمو منها تواصلياً في افق تداولي بالدرجة الاولى وذلك ان علم المعاني متعلق بدراسة طرائق الكلام او الاسلوب، وذلك ليطابق مقتضى الحل، أما البيان البديع فهما قسمان بلاغيان مرتبطان بكنه التواصل وجوهره، وذلك بفضل عنايتهما بالجانب التنميقي والجمالي للألفاظ والجمل التأثير في النفوس وقلب القناعات ونفي الترددات والشكوك، وبالتالي خلق فعالية تواصلية ذات استراتيجية ناجحة وهو ما يصبّ في عمق الدّرس التداولي الذي ما فتأ يعتدّ بفضاءات وطروحات وآليات هدفها الاساسي تغذية الكلام بأسس منهجية تخدم المتكلم من خلال مدها به بمجموعة من التوصيات والمفاهيم التي تجعل قصده واضحاً، لا لبس فيه، مما يجعل العملية التخاطبية ناجحة وفعالة وفي مستوى قبول واستحسان وفهم المتلقين) (احمد،٢٠١٠/٢٠١١،ص٢٤٦)(Ahmed,2010/2011,p.246).

ويعرف أوستين الفعل الكلامي بقوله: (وإن فعل "التكلم بشيء ما"، بالمعنى الواسع لهذا المركب إنما اسميه بل امنحه هذا اللقب وهو انجاز فعل الكلام، bcutionarg act، ومن هذا السياق فإن دراسة العبارات المتلفظ بها هين في الحقيقة، ولنفس السبب دراسة افعال الكلام وان شئت قلت دراسة الوحدات الشاملة لعناصر التكلم Speech اللغوي)(اوستين، ١٩٩١، ص١١٥)(Austin, 1991, p. 115).

المبحث الرابع: نظرية الأفعال الكلامية بين الإرث البلاغي واللسانيات الغربية

البعض يعد (نظرية أفعال الكلام العامة لأوستين أول محاولة جادة تتجاوز بالفعل الطرح الارسطي في كتابه الخطابة، للقول الخطابي، والدراسة البلاغية بإعادة تنظيم منطق اللغة الطبيعية على ضوء الدراسات اللسانية المعاصرة)(اوستين، ١٩٩١، المقدمة ص٥)(Austin, 1991, Introduction, p. 5).

ونجد انه (قد افتتح محاضرته بمحاولة البرهنة على عدم صحة الثنائية Dichotomi المفتعلة بين الخبر والانشاء) (اوستين، ١٩٩١، المقدمة ص٦)(Austin, 1991, Introduction, p.6)، وهذا أثر في أوستين رفع نظريته ما وضع قبله (وأثر الاتفاق والمواضعة في التواصل أمر أساسي في نظرية أوستين وعند علماء البلاغة والاعجاز في الفكر الاسلامي) (اوستين، ١٩٩١، المقدمة ص٩)(Austin,1991,Introduction, p.9).

لكن العرب يظلون هو أصل النظريات فعند البحث نجد أنه قد (تتمركز نظرية الأفعال الكلامية عند السكاكي في بؤرة اهتمامه بالأساليب الإنشائية من حيث البنية والدلالة والغرض أو القصد، ولأنّ بلاغته تّجمع بين النحو والمنطق والشعر عدّ بذلك أنموذجاً عربياً متميزاً في الفكر البراغماتي المعاصر ولعلّ دراسة نصه البلاغي على ضوء هذا الفكر بينهم في اكتشاف وتثمين جوانب من الجهود الجبارة التي بذلها علماؤنا تجاه الظواهر اللغوية وتفسيرها وتأويلها)(بن فضة، د.ت، ص١١٧)(Ben Fadda, Dr. T., p. 117)، وقد (اعتنى البلاغيون بهذه المعاني الإنشائية من منطلق ما كان لها من دلالات نحوية وضعته أولاً، وما يمكن أن تستخدم فيه من أغراض سياقية مقامية مختلفة عن معانيها الأول في مستوى ثان، وفي المقابل لم يتفنن الدرس اللغوي في الغرب إلى دراسة الإنشاء إلاّ في أواخر الثلث الأوّل من القرن العشرين، ولم يتعمق دراسته إلاّ في بدايات النصف الثاني منه، ونقصد اساساً عمل أوستين J.Austin (١٩١١–١٩٦٠) الذي نشر لأول مرة سنة ١٩٦٢) (بن فضة، د.ت، ص١١٤)(Ben Fadda, Dr. T., p.114)، و(قد كان لكثير من النحاة العرب اهتمام بالبحث في معاني الأساليب وأغراضها التواصلية، فجعلوها أساساً معرفيّاً لتحليلهم النحوي، وتعود الإرهاصات الأولى الملاحظة هذا المنحى التداولي إلى زمن الخليل بن احمد الفراهيدي، وتلميذه سيبويه، ولكن المتأخرين كانوا أكثر اهتماماً بذلك نحو، الجرجاني والرضي الإسترآباذي هذا في التراث العربي امّا حديثاً عرفت نظرية أفعال الكلام المنبثقة عن اللسانيات التداولية تطوراً كبيراً متدنياً سببها قد يؤدي كلّ من اوستين (AusTin) وتلميذه سورل (SEARLE)؛ اللذين كانت لهما جهود مهمة في تحليل الأفعال الإنشائية، وبيان شروط استعمالها في سياقات الحديثة المختلفة، كما بحثا مختلف أساليب فعل الكلام، انطلاقاً من الكشف عن القصدية الإنشائية التي يبلّغها المخاطب إلى المستمع، رغم اختلافها في تصنيف الأفعال الكلامية)(روقاب، ٢٠١٦، ص١٣)(Ruqab, 2016, pg. 13).

والفعل (يختص بدراسة أغراض الكلام، التي يقصد إليها المتكلم، كالاستفهام، وإثارة السؤال، والتأكيد، والأمر، والوعد، والوعيد، وغيرها. سواء أكان العمل الناتج عنها ظاهراً أو واقعياً أم ذهنياً، ومن هنا جاءت التسمية الفعل الكلامي، للدلالة عن الحدث الذي اوجده النطق، وليس الفعل الذي يُعد مؤشراً أو وسيلة لغوية لإنجاز الحدث)(محفوظ، ٢٠١٢، ص٤٥)(Mahfouz, 2012, p. 45)

ويتضح أصل النظرية عند السكاكي في تعريفه لعلم المعاني حيث يقول: (هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الافادة، وما يتصل بها من الاستحسان وغيره، ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره؟ وأعني بتراكيب الكلام التراكيب الصادرة عمن له فضل تمييز ومعرفة، وهي تراكيب البلغاء، لا الصادرة عمن سواهم، لنزولها في صناعة البلاغة منزلة أصوات حيوانات تصدر عن حالها بحسب ما يتفق، وأعني بخاصية التراكيب: ما يسبق منه إلى الفهم عند سماع ذلك التراكيب، جارياً مجرى اللازم له، لكونه صادراً عن البليغ، لا لنفس ذلك التركيب من حيث هو هو، أو لازماً له هو هو حيناً، وأعني بالفهم، فهم ذي

الفطرة السليمة، مثل ما يسمى إلى فهمك من تركيب: إن زيد منطلق، إذا سمعته عن العارف بصياغة الكلام)(السكاكي، ١٩٨٣، ص١١)(Al-Sakaki, 1983, p. 11).

وكلامه يعني أن عالم المعاني هو ذاته نظرية الأفعال الكلامية فقوله: عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، تعني الفعل الكلامي وبهذا يكون السكاكي أول من أشار الى هذه النظرية بصورة غير مباشرة الى أن ادلى دلوها أوستين، وليس هذا فحسب بل كان الاساس الاول للحجاج عندما (سعى السكاكي ضمن مفتاحه إلى ربط البلاغة بالمنطق انطلاقاً من الاستدلال الذي هو مكمل للمعاني والبيان..... هذا النهج يتّفق كثيراً مع ما أرساه الدرس الحجاجي في العصر الحديث من ربط البلاغة بالمنطق مع التأكيد على الاختلاف البين بين الدرسين، أعني العربي والغربي من حيث المنطلق الفكري والسياق الثقافي التاريخي)(بوزناشة، ٢٠١٥/٢٠١٦، ص٣٧٧)(Bouznasha, 2015/2016, p. 377)

أما الجرجاني فـ (يتجلّى المصطلح الحجاجي عند عبد القاهر الجرجاني من خلال حديثه عن النظم الذي اقترن بفكرة الإعجاز القرآني، ولذلك أولاه عناية خاصة ضمن كتابيه " الدلائل والاسرار " حيث أكّد فيهما على أهمية النظم، مبيّناً مفهومه وآليات اشتغاله داخل الخطاب، وتأثيره على المخاطب في إطار التواصل من الناحية التداولية (الحجاجية) والتخيلية، مستدلاً على ذلك بنماذج شعرية توضيحية) (بوزناشة،٢٠١٥/٢٠١٦،ص٢٩١)(Bouznasha,2015/2016,p.291).

وهناك نظريات تعد من بين الحجاج والأفعال الكلامية فمثلاً: (تنطلق نظرية السلالم الحجاجيّة من إقرار التلازم في عمل المحاجّة بين القول الحجة ق ونتيجته ن ومعنى التلازم هنا هو أن الحجة لا تكون حجة بالنسبة إلى المتكلّم إلاّ بإضافتها إلى النتيجة مع الاشارة إلى أنّ النتيجة قد يصرّح بها وقد تبقى ضمنيّة:

٩أ: ماذا تريد أن تفعل اليوم ؟

ب: ألا ترى أنّ الطقس جميل ؟

فالاستفهام في قول (ب) يمثّل حجة لفائدة نتيجة ضمنية هي الخروج للنزهة مثلاً وإن لم يقع التصريح بهذه النتيجة)(صمود، د.ت، ص٣٦٣)(Samoud, Dr. T., p. 363)

والخلاصة (إن الاساليب الإنشائية عند العرب شكلت حجر الأساس في الدراسات الأصولية والنحوية والبلاغية... وجاء تحليلهم لهذه الأساليب دقيقاً إلى درجة أن نظرية أوستين وسيرل لا يمكن أن نعتبرها إلا تابعاً لما بحثه العرب في هذا المجال، وفي نفس الوقت، لا يمكن لنا ان ننكر فضل الفلاسفة في التعريف بهذا الجانب من اللغة الذي مكّن الدارسين العرب من اكتشاف تلك الجهود الفذة والفريدة من نوعها للعلماء العرب القدامى في العديد من المجالات المعرفية) (بلخير،د.ت،ص٧٣ــ٧٤)(Belkheir,D.T.,p.73-74)

وفي الختام نقول إن الأفعال الكلامية عبارة عن تراكيب متعلقة بعلم المعاني عامة، الخبر والإنشاء خاصة، و(لما كانت اللغة العربية غنية بمجموعات من التركيبات التي تعطي معنى أساسيًا واحدًا من إخبار وطلب وتهنئة... إلخ ومعانٍ ثانوية متفاوتة، كالتركيبات "زيد قائم" و"إن زيدًا لقائم" بالنسبة للإخبار، مما يستدعي الدقة في اختيار البديل المناسب عند إرادة التعبير عن ذلك المعنى الأساسي بحسب ما يقتضيه حال المخاطبة من حالات نفسية وظروف واقعية وعلاقات اجتماعية بين أطراف المخاطبة، ولما كانت تلك المعاني الأساسية والثانوية أنماطًا من القوى المتضمنة في القول، استلزم ذلك من الدارسين لعلم المعاني من البلاغة التعرض لهذه القوى بالدراسة، في سبيل تحديد ما يقتضيه حال معين من الأحوال من تركيب معين من بين مجموعة التركيبات البديلة لتعبير أساسي معين. وبعبارة أخرى تحديد الربط المناسب بين مجموعة الأحوال ومجموعة التركيبات البديلة بالنسبة لمعنى أساسي واحد)(الطبطبائي، ١٩٩٤، ص ج) (Al-Tabtabai, 1994, pg)

النتائج:

١. الحجاج ليس نظرية غربية بل اصول فنية عربية احتاجها العرب لتقوية خطبهم خاصة ودعم كلامهم عامة.
٢. نظرية الافعال الكلامية اصلها الحدث والجمل في الكلام العربي.
٣. وإن اختلفت المسميات بعض الشيء ولكن يبقى القالب والاصل عربي اطره الغرب بغلاف غربي ليوهم الباحث انه انتاج ونظريات غربية.
٤. تصدى بعض علماءنا المحدثين وخاصة علماء اللسانيات في المغرب العربي للهجوم النظري الغربي وبينوا اصولها العربية.
٥. الحجاج، والافعال الكلامية نظريتين من بين النظريات التي اسسها العرب وروج لها اللسانيون الغربيين.
٦. الحجاج، والافعال الكلامية من ادوات البلاغي لإقناع المخاطب، وتعزيز كلامه، وتقوية النص البلاغي.
٧. كان للسكاكي في بحثه عن الانشاء والخبر اثر كبير في خلق نظرية الافعال الكلامية كما بينا، وللجرجاني من خلال بحثه في نظرية النظم اثر آخر في خلق نظرية الحجاج.

Abstract

Al-Hajjaj's theories and verbal acts between the Arabic rhetorical heritage and contemporary Western lingu

By leqaa Adel Hussein

Arab scholars had special concepts about the Qur'anic miracle and the importance of pilgrims in it, and the use of rhetorical art to strengthen the Qur'anic argument, and then using the verbal verb in the Qur'anic text, especially those with expressive storytelling. The Arabs knew Al-Hajjaj and the verb is verbal, but they did not use it as a theory on which the rhetorician bases when analyzing the text. But it was originally an Arab taste that was enveloped in Western theory such as stylistics, pragmatics, structuralism, and other contemporary terms and theories. Therefore, I thought that I would explain to the researchers what I could find about the two largest theories that Western linguists revolved around: the arguments and the verbal verbs. The research was divided after the introduction into demands: the first house; About the concept of pilgrims language and idiomatically, and the second; On the theory of pilgrims between the rhetorical legacy and Western linguistics, III; dealt with the concept of verbal verbs, IV; In it, I studied the theory of speech acts between rhetorical heritage and Western linguistics. I explained the concept of the two theories among our Arab scholars, and among linguists, and how some attributed them to Aristotle.

Keywords: pilgrims, verbal verbs, inheritance, linguistics.

المصادر والمراجع:

١. أحمد، واضح. (٢٠١٠ ـ ٢٠١١). "الخطاب التداولي في الموروث البلاغي العربي من القرن الثالث الهجري إلى القرن السابع الهجري"، إشراف: لزعر مختار، أطروحة دكتوراه في اللسانيات، كلية الآداب اللغات والفنون ـ قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة وهران ــ الجزائر.

٢. أوستين. (١٩٩١). نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام)، ترجمة: عبد القادر قينيني، مطابع أفريقيا الشرق، الدار البيضاء.

٣. بلخير، عمر. (د.ت). "نظرية الأفعال الكلامية وإعادة قراءة التراث العربي"، مجلة الأثر، تيزي وزو ـ الجزائر، عدد خاص أشغال الملتقى الدولي الثالث في تحليل الخطاب.

٤. بن فضة، فريدة. (د.ت). "الاستفهام عند السكاكي دراسة تداولية"، جامعة مولود معمري، تيزي ـ وزو.

٥. بنو هاشم، حسين. (٢٠١٠). نظرية الحجاج عند شاييم بيرلمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ـ لبنان، ط١.

٦. بوزناشة، نور الدين. (٢٠١٥ ــ ٢٠١٦). "الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي دراسة تقابلية مقارنة"، اشراف: أ.د. خليفة بوهادي، دكتوراه، جامعة محمد لمين، كلية الآداب واللغات ـ قسم اللغة والأدب العربي، الجزائر.

٧. الجاحظ، أبو عثمان عمرو بن بحر. (د.ت). البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة.

٨. جلولي، العيد. (د.ت). "نظرية الحدث الكلامي من أوستين إلى سيرل"، مجلة الأثر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة ــ الجزائر، عدد خاص بأعمال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب.

٩. الجوهري، أبو نصر اسماعيل بن حماد. (٢٠٠٩). الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية. مراجعة: مجموعة من الأساتذة، دار الحديث ـ القاهرة.

١٠. حمداوي، جميل. (د.ت). نظريات الحجاج، شبكة الألوكة www.alakah.net.

١١. الرازي، محمد بن أبي بكر. (د.ت). مختار الصحاح، المطبعة العامرة العثمانية.

١٢. روقاب، جميلة. (٢٠١٦). "نظرية أفعال الكلام بين التراث العربي واللسانيات التداولية ـــ أوستين وسورل نموذجًا ــ"، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، العدد ١٥، جانفي.

١٣. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر. (١٩٢٢). أساس البلاغة، دار الكتب المصرية بالقاهرة.

١٤. السكاكي، يوسف بن أبو بكر بن محمد . (١٩٨٣). مفتاح العلوم، ضبط وتعليق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت ــ لبنان، ط١.

١٥. صلاح الدين، ملاوي. (٢٠١٤). "نظرية الأفعال الكلامية في البلاغة العربية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية"، جامعة محمد خيضر، بسكرة ـــ الجزائر، جانفي.

١٦. صمود، حمادي. (د.ت). أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية.

١٧. صولة، عبد الله. (٢٠١١). في نظرية الحجاج دراسات وتطبيقات، الشركة التونسية، ط٦.

١٨. الطبطبائي، طالب سيد هاشم. (١٩٩٤). نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب، مطبوعات جامعة الكويت ـــ الكويت.

١٩. الطلبة، محمد سالم محمد الأمين. (٢٠٠٨). الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت ــ لبنان، ط١.

٢٠. العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله. (١٩٥٢). كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق: علي محمد البجاوي، ومحمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١.

٢١. عليوي، حافظ اسماعيل. (٢٠١٠). الحجاج مفهومه ومجالاته دراسات نظرية وتطبيقية في البلاغة الجديدة، عالم الكتب الحديث، أربد ــ الأردن، ط١.

٢٢. كيوسي، هندة. (٢٠١٧). "بلاغة الحجاج الأصول والامتدادات"، مجلة تاريخ العلوم، جامعة أم البواقي، العدد ٩، سبتمبر.

٢٣. محفوظ، خديجة. (٢٠١٢). "تأصيل الفرضية الإنجازية في الفكر اللغوي العربي القديم من خلال اسلوبي الأمر والاستفهام دراسة وصفية تحليلية"، اشراف: أ.د. بوشعيب راغين، رسالة، جامعة طيبة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، المملكة العربية السعودية.

٢٤. وايلز، كاتي. (٢٠١٤). معجم الاسلوبيات، ترجمة: خالد الأشهب، مراجعة: قاسم البريسم، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ــ لبنان، ط١.

Sources and references:

1. Ahmed, clear. (2010 - 2011). “Pragmatic Discourse in the Arab Rhetorical Heritage from the Third Century AH to the Seventh Century AH,” Supervision: Lazaar Mokhtar, PhD thesis in Linguistics, Faculty of Arts, Languages and Arts - Department of Arabic Language and Literature, Oran University – Algeria.
2. Al-Askari, Abu Hilal Al-Hassan bin Abdullah. (1952). The Book of the Two Industries, Writing and Poetry, achieved by: Ali Muhammad Al-Bajawi, and Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, House of Revival of Arabic Books, 1st ed.
3. Alawi, Hafez Ismail. (2010). Al-Hajjaj, its concept and its fields, theoretical and applied studies in the new rhetoric, the modern world of books, Irbid - Jordan, 1st ed.
4. Al-Gohary, Abu Nasr Ismail bin Hammad. (2009). Asahah crown Arabic language and sanitation. Review: A group of professors, Dar Al-Hadith - Cairo.
5. Al-Jahiz, Abu Othman Amr bin Bahr. (D.T). Al-Bayan wa Al-Tabeen, achieved by: Abdel Salam Haroun, Al-Khanji Library, Cairo.
6. Al-Razi, Muhammad bin Abi Bakr. (D.T). Mukhtar Al-Sahah, the Ottoman Empire Press.
7. Al-Sakaki, Yusuf bin Abu Bakr bin Muhammad. (1983). Miftah al-Ulum, Editing and Commenting: Naim Zarzour, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut - Lebanon, 1st Edition.
8. Al-Tabtabaei, student of Syed Hashem. (1994). The Theory of Speech Acts among Contemporary Philosophers of Language and Arab Rhetoricians, Kuwait University Press - Kuwait.
9. Al-Zamakhshari, Jarallah Abu Al-Qasim Mahmoud bin Omar. (1922). The basis of rhetoric, The Egyptian Book House, Cairo.
10. Austin. (1991). The Theory of General Speech Actions (How to Get Things Done with Words), translated by: Abdelkader Kenini, East Africa Press, Casablanca.
11. Banu Hashem, Hussein. (2010). The theory of pilgrims according to Chaim Perelman, United New Book House, Beirut - Lebanon, 1st Edition.
12. Belkheir, Omar. (D.T). "The Theory of Verbal Verbs and Re-reading the Arab Heritage", Al-Athar Magazine, Tizi Ouzou - Algeria, special issue, the works of the Third International Forum on Discourse Analysis.
13. Ben Fadda, Farida. (D.T). "The Question of Sekkaki: A Pragmatic Study", Mouloud Mammeri University, Tizi-Ouzou.
14. Bouznasha, Noureddine. (2015 - 2016). Al-Hajjaj between the Arabic rhetorical lesson and the Western linguistic lesson, a comparative comparative study, supervised by: Prof. Khalifa Bouhadi, Ph.D., University of Mohamed Lameth, Faculty of Arts and Languages - Department of Arabic Language and Literature, Algeria.
15. Hamdaoui, Jamil. (D.T). Theories of pilgrims, Alukah Network www.alakah.net.
16. Jallouli, Eid. (D.T). "The Theory of the Verbal Event from Austin to Searle", Al-Athar Magazine, Kasdi Merbah University, Ouargla - Algeria, a special issue of the work of the Fourth International Forum on Discourse Analysis.
17. Kiyosi, Henda. (2017). “Al-Hajjaj’s Rhetoric, Origins and Extensions,” Journal of the History of Science, Oum El Bouaghi University, Issue 9, September.
18. Mahfouz, Khadija. (2012). Rooting the achievement hypothesis in the ancient Arabic linguistic thought through the stylistics of command and questioning, a descriptive and analytical study, supervised by: Prof. Bouchaib Raghen, Thesis, Taibah University, College of Arts and Humanities, Kingdom of Saudi Arabia.
19. Roqab, Jamila. (2016). "The Theory of Speech Acts between the Arabic Heritage and Pragmatic Linguistics - Austin and Sorrell as a Model -", The Academy for Social and Construction Studies, No. 15, January.
20. Saladin, Malawi. (2014). "The Theory of Verbal Verbs in Arabic Rhetoric, Journal of the Faculty of Arts, Humanities and Social Sciences", University of Mohamed Khider, Biskra - Algeria, January.
21. Somoud, Hammadi. (D.T). The most important theories of pilgrims in Western traditions from Aristotle to today, the official press of the Republic of Tunisia.
22. Soula, Abdullah. (2011). In the theory of pilgrims studies and applications, Tunisie, 6th edition
23. Students, Muhammad Salem Muhammad al-Amin. (2008). Al-Hajjaj in Contemporary Rhetoric, A Study in the Rhetoric of Contemporary Criticism, United New Book House, Beirut - Lebanon, 1st Edition.
24. Wills, Katie. (2014). A Dictionary of Stylistics, Translated by: Khaled Al-Ashhab, Reviewed by: Qassem Al-Braism, The Arab Organization for Translation, Beirut - Lebanon, 1st Edition.